الإشكالية المعرفية لمنهج البحث التحليلي في دراسات اللغة بين التحليلية الشكلية والتحليلية التفاعلية

دراسة فلسفية

The cognitive problematic of the method of) analytical research in language studies Between formalistic analytical and interactive (analytical

Philosophical study

د. وائل أحمد خليل الكردي

دكتوراه في المنطق وفلسفة العلوم

استاذ مشارك

الاكاديمية العربية في الدنمارك، قسم الفلسفة

wailahkhkordi@gmail.com

تاريخ التقديم للنشر: ٢٠٢٠/١٢/٤ **تاريخ القبول للنشر: ٢٠٢١/٢/٢٦**

كلمات مفتاحية: المعرفية ، التحليلية ، الشكلية ، التفاعلية ، التداولية

Key Terms: cognitive, analytical, formalism, interactive, pragmatics

ملخص.

لقد ظهرت أزمة معاصرة احدثها تفسير الاتجاه الشكلي للغة بالحد وربما الاقصاء لكثير من الفعاليات الاجتماعية الانسانية التي لا تخضع للمعيارية والقياسية المنطقية الصارمة التي يقررها هذا الاتجاه بالرغم من أن هذه الفعاليات قد يكون لها الاسهام الاكبر في تحقيق العملية التداولية الاتصالية بين افراد المجتمع الواحد وفي فهم وقراءة العقول الأخرى ، وهو ما اتى اتجاه التحلیل التفاعلي لتعويضه والتركيز عليه ووضعه موضع الاعتبار في التداول اللغوي وأفراده حيزاً خاصاً لهذه الاغراض اللاقياسية في الاستخدام اللغوي من اجل تحقيق الاتساع اللازم في البحث العلمي للغة والخروج بها من حيز الاقتصار على الدراسة الوصفية المجردة في مقارنتها بالوقائع

لتنتقل الى الدراسة التطويرية من خلال مقارنتها بطرق حياة الشعوب والقبائل بما يعني فهم (العقول الاخرى) . وبناء على هذا ، قام هذا البحث على اثبات وترجيح كفة اتجاه المنهج التحليلي التفاعلي في البحث اللغوي بكونه المنهج الاكثر ملائمة لاستيعاب كافة ضروب الاستخدام اللغوي ومن ثم التعبير الكافي عن جميع الوان الابداع الانساني .

وقد اشتمل البحث على المحاور الأساسية التالية:

١/ المشكلة المعرفية للأسئلة اللاعلمية في اللغة (ما يقابل الميتافيزياء في العلوم التجريبية) .

٢/ التأسيس الفلسفي للمنهج التحليلي التفاعلي في البحث اللغوي (الاشكالية المعرفية للغة بين الشكلية والتفاعلية).

٣/ خلاصة عامة (التحليل التفاعلي يدعم الاقرار بالعرف اللغوي ومسائل المجاز والعنصر التخيلي في النحو فيما يعرف بالمحذوف التقديري مما لا يغطيه المنهج الشكلي) .

Abstract:

A contemporary crisis has emerged, brought about by the interpretation of the formalistic trend of language by limiting and perhaps excluding many of the human social activities that are not subject to the strict logical norms and standards determined by this trend, although these activities may have the greatest contribution to achieving the deliberative and communicative process between members of a single society and in understanding and reading Other minds, which is what came the direction of interactive analysis to compensate and focus on it and put it into consideration in linguistic circulation and its members a special space for these non-standard purposes in linguistic use in order to achieve the necessary breadth in the scientific research of language and get it out of the space of limiting to abstract descriptive study in comparing it with facts to move to The development study by comparing it to the ways of life of peoples and tribes, meaning understanding (other minds) Based on this, this research is based on proving and favoring the direction of the interactive analytical approach in linguistic research, as it is the most

appropriate approach to accommodate all forms of linguistic use, and thus the adequate expression of all the colors of human creativity.

The research included the following main axes:

The epistemological problem of non-scientific questions in language (what corresponds to metaphysics in experimental sciences).

The philosophical establishment of the interactive analytical method in linguistic research (the epistemic problematic of language between formalism and interactivity).

General summary (the interactive analysis supports the acknowledgment of the linguistic convention and issues of metaphor and the imaginary element in grammar, so it is known as the discretionary omission which is not covered by the formal approach). .

مقدمة.

من شأن دراسة اللغة العربية على المستوى المعرفي لمنهج البحث العلمي فيها أن تشترك مع كافة اللغات في ذات الاشكالية الفلسفية. وبما أنه يغلب على البحث اللغوي طابع التحليل والوصف دون التجريب فهذا بدوره مما يفترض أساساً فلسفياً وتفسيراً معرفياً ينطلق منه المنهج من أجل ليس فقط فهم وإيضاح الحالة اللغوية وإنما بالإضافة إلى ذلك وضع الرؤية لتطوير التداول اللغوي في عمليات الاتصال البشري ، ويمكن القول أن أهم المواقف والرؤى الفلسفية في هذا الصدد يمكن تلخيصها في اتجاهين كبيرين هما (المنهج التحليلي الشكلي) كما عبرت عنه الاتجاهات ذات النزعة المنطقية ألصورية و(المنهج التحليلي التفاعلي) على نحو ما عبرت عنه اتجاهات المدرسة التحليلية اللغوية المتأخرة .

أهمية البحث.

يستمد البحث أهميته من اتجاه الدراسات الفلسفية المعاصرة نحو ايجاد أنسب السبل المنهجية في قراءة وفهم (العقول الأخرى) بالتعرف على الخصائص الذاتية لكل فئة اجتماعية في استخدامها للغة العامة بما يكشف عن هويتها وطريقة حياتها.

هدف البحث.

تأكيد الاتجاه الفلسفي اللازم لحسم القصور اللغوي التعبيري على المستوى القواعدي والصوري عن مواكبة التطور التداولي الدلالي في الاستخدام التواصلي للغة بين عناصر الشعب الواحد وبين الشعوب وبعضها.

مشكلة البحث.

ارتباط البحث العلمي في ميدان اللغات (لاسيما اللغة العربية) بمجريات البحث العلمي في العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية نتج عنه مشكلة في ايجاد التفسير المناسب للبناء اللغوي ودور اللغة اجتماعياً ونفسياً الأمر الذي أدى إلى اتخاذ مواقف فلسفية متعارضة بصدد تحديد هذا التفسير والمنهج المؤدي إليه.

فرضية البحث.

ايضاح أن المنهج الشكلي الصوري يضع الحدود للمعاني في التعبير عن الأفكار ومن ثم حدود للأفكار نفسها على هيئة أطراف يخرج منها كل ما لا يمكن وصفه بدلالة واقعية منفصلة عن إدراكنا لها ، ومن جانب آخر اثبات أن المنهج التحليلي التفاعلي يرفع الحدود الشكلية عن الأفكار ويحقق اتساعاً كبيراً في (المعنى) حيث يتم النظر إلى اللغة باعتبارها تعبيراً عن طريقة في الحياة وبكونها فاعلية مرتبطة بكل ضروب وأنماط التفكير.

منهج البحث.

المنهج المستخدم في البحث هو (منهج تحليل المضمون) بما يشمل الوصف والنقد والمقارنة والاستدلال الاستنباطي .

أ/ المشكلة المعرفية للأسئلة اللا-علمية للغة.

"إن أي سؤال قابل للفهم إما لديه إجابة علمية أو ليس لديه إجابة أصلاً "([1]) ، هذا المبدأ التعريفي للحقيقة المعرفية الذي أطلقه أصحاب مدرسة (الساينتيزم) Scientism هل هو المبدأ الأوحد أو الأنسب لكل الأحوال لينطلق منه البحث العلمي في كافة التخصصات والمجالات ولكي نمنح – بالبحث فيها على هذا المبدأ – صفة (العلم) و(العلمية) Science؟ هذا هو السؤال الأساسي في هذا البحث بافتراض أننا نواجه هنا أن هذا المبدأ السالف الذكر هو حالة مذهبية في المنهج العلمي من ضمن حالات أخرى تقابلها.

وكبداية ، يمكن الدخول إلى دراسة الإطار النظري للمشكلة بموقف سردي ورد في رواية (جسر سان لويس ري) والتي جرت احداثها في (بيرو) حيث انقطع جسر عتيق فجأة ودون سابق

[1] Monk, Ray – Wittgenstein and the two cultures – Prospect, July 1999, p. 66.

مقدمات أو إشارات ملقياً الى الأسفل بخمسة ضحايا. وقد تجلى الموقف البحثي هنا في الاعتقاد بأن الجسر مقدس وباق على الدهر، وأن احداً يخطر بباله مطلقاً في أن هذا الجسر يمكن أن يسقط في يوم ما، ولذلك كان موقف الجميع بين الدهشة والشفقة والخوف والحمد أن واحداً منهم لم يكن في مكان هؤلاء الضحايا الخمسة. ولكن ، باستثناء شخص واحد من رهبان الكنيسة هو (جونبر) اتخذ فعلاً تجريدياً بصدد الحادث بطرحه للأسئلة التالية:

- لماذا اختار القدر هؤلاء الخمسة دون غيرهم؟
- لماذا انقطع الجسر في هذه اللحظة؟
- هل ما حدث كان مصادفة ؟ أم كان عمداً؟

لقد كان الراهب (جونبر) مؤمناً في كل الأحوال ولذلك انطلق في البحث من هذه الأسئلة للكشف عن "إرادة الله الخالصة " من أجل ان يثبت إما أن الموت والحياة تسيران حسب إرادة الهية لا يمكننا أن نقف كثيراً لتفسيرها في العادة ولذلك نظن أنها محض مصادفات ، وإما أن الله قد أودع قوانين حياة وفناء جميع الكائنات في داخلهم على هيئة (قانون طبيعي) حتمي كل في زمانه ومكانه ، ولكنها تبقى في كل الأحوال إرادة الله الخالصة([1]) .

إذاً ، فالموقف البحثي العلمي على هذا هو معنى متسع كثيراً عن النظرة المحدودة له وفق تصورات القرن

التاسع عشر. فإذا كان العالم الرياضي (روجر بنروس) R. Penrose كان قد قرر أن (الوعي) يتحدد بالعوامل الفيزيائية لميكانيكا الكم ، وبرغم أن هذه نظرية تأملية وتحذف أموراً كثيرة من فعاليات هذا الوعي باعتبارها من قبيل الشاذ المستحيل([2])، إلا أنها في ذات الوقت تمثل دحضاً على من يقول بأن الطبيعة لا تداخلها العناصر الميتافيزيائية ، ففيزياء الكم بكونها تمثل النموذج الأمثل والحصري للبحث العلمي في نظر (بنروس) فإنها قد اثبتت أن تصوراتنا عن كثير مما كنا نظنه يقينياً في الكون قد صار الان أقرب إلى الميتافيزياء ، ثم لم يخل ذلك بقيمة البحث العلمي بل يعد من نتائجه وتطوراته.

وقياساً على ذلك فإن السؤال القائم على التمييز بين ما هو (علم) science وما هو (لا-علم) قد يبدو في العديد من الحالات سؤالاً زائفاً. وربما برز الحكم بزيف هذا السؤال اكثر الشيء في دراسات تحليل اللغات المتداولة وما تحمله من تعبيرات مؤثرة ولكنها وفق المعيار القديم لمفهوم العلم (غير قياسية).

([1]) وايلدر، ثورنتون – جسر سان لويس ري – ترجمة/ عبد القادر القط ، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، ص ١-٦.

([2]) Monk, Wittgenstein, p. 66.

وإذا تناولنا تفسير ذلك من ناحية المنهج التحليلي في البحث العلمي لأمكن القول بأن أي معاملة تتم في حيز تكوين الأفكار الجديدة في أي ميدان علمي (طبيعي – إنساني) لا مفر لها من تداخل أنماط الاستدلال المنطقي فيها (استنباط ـ استقراء) وما يتبع ذلك من ضروب القياس المنطقي Syllogism والقوائم التجريبية لحساب السببية كما هي عند (بيكون) F. Bacon و(مل) J.S. Mill ويكون الاختلاف في هذا بين مجالات العلم تبعاً لدرجة التغير والتحول في الظواهر موضوع القياس والتحليل ، فالعلوم الطبيعية تكون ظواهرها على درجة تغير وتحول أقل من تلك التي في العلوم الإنسانية والاجتماعية ، ولأنها تخضع لدرجة أعلى في الضبط والسيطرة عليها ودرجة التكرار في وقوعها. ولهذا يقوم الحكم العلمي في العلوم الطبيعية على مفهوم (القانون العلمي) Scientific Law الذي هو نوع من التقدير يتم من خلاله الكشف عن حقيقة عنصر ما في الكون، أي أنه نظام محدد من الروابط السببية الضرورية والمستقرة بين الظواهر أو بين صفات الموضوع المادية وعلى العلاقات الجوهرية المتكررة التي فيها يتسبب تغير بعض الظواهر في إحداث تغيير محدد في ظواهر أخرى. من هنا كان (القانون العلمي) تابع لشرط لازم لصفته هذه وهو عدم القابلية للدحض أو الحذف بالكلية، وهو أيضاً على هذا الوصف يخضع لنتائج الاستقراء المنطقي Induction في (التعميم) سواء على مستوى (مبدأ التحقق) verification principle برصد الشواهد المؤيدة لإثبات تطبيق القانون على مزيد من الحالات ، أو على (مبدأ التكذيب) falsification principle برصد الشواهد المكذبة أو المعارضة للقانون من أجل تعيين مدى سريانه وحدود نفاذه([١]) .

أما في العلوم الإنسانية والاجتماعية فربما يمكن التعارف على ما فيها من احكام علمية بمفهوم (القاعدة العلمية) Scientific Rule، فإذا كان القانون العلمي لا يسمح بالاستثناءات بل بحدود يقف عندها سريان القانون لتبدأ قوانين جديدة ، فإن القاعدة العلمية في تفسير الظاهرة الإنسانية والاجتماعية إنما تسمح بالاستثناءات التي تنطبق عليها قاعدة تفسيرية معينة وذلك نسبة لعامل (حرية الارادة) لدى الظاهرة الإنسانية والذي يجعلها أشد تحولاً وتغيراً وشذوذاً عن الظاهرة الطبيعية. ولما كانت الظاهرة اللغوية هي الحاملة للدلالات والمعاني وهي وسيط التعبير عن الظاهرة الإنسانية وتحولاتها فإنها بذلك تتسم بذات التحولية لاسيما أنها – أي اللغة – هي المكون الاتصالي التداولي لعلامات الوصف القياسي وغير القياسي في عمليات التفاعل الإنساني المختلفة سواء بين الانسان والطبيعة أو بين الانسان والإنسان ، وأن الكثير من العلامات اللغوية التداولية

([١]) خليل ، وائل أحمد ـ نقد منطق نظرية الانفجار العظيم كأصل لنشأة الكون استناداً على المرجعية القرآنية – مجلة (التأصيل)، السودان ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، العدد التاسع ، يونيو ٢٠١١م ، ص ١٢.

تحمل دلالات ميتافيزيائية أو حتى اسطورية التي قام زعم الموقف الشكلي بأنه لا يوجد معيار لقياسها على نحو ما للطبيعة ، إلا أن منهج البحث فيها يقوم على ما لديها من تأثير في الشعوب والمجتمعات وطرق حياة الناس المتداولة لها على اختلافهم وبحيث لا يمكن تحقيق الفهم الكامل للحالة الاجتماعية أو النفسية العامة إلا بتضمين الاعتبار البحثي لهذه المكونات اللا-قياسية في عموم السياق للحالة . وما هو مقصود بالمكونات أو العلامات اللا-قياسية incommensurable sign في اللغة هي تلك العلامات التي تحمل دلالات تخيلية مجردة وأحوال انفعالية عاطفية ووجدانية والتي يتم التعبير عنها أكثر الشيء بالأشعار ثم السرديات الروائية. وقد يعد الشعر على وجه الخصوص هو الحامل الأكبر لهذه العلامات اللا-قياسية وربما أصبح هو الغالب فوق العلامات القياسية في اللغة بل وشاهد عليها على نحو ما هو في اللغة العربية وثقافتها ، فقد لا يتاح فهم العقل العربي كفاية إلا من خلال الجانب الشعري اللا-قياسي ، ولذلك لم يكن من سبيل سوى وضع اللغة العربية بهذا المكون تحت عوامل البحث العلمي لأجل أن يتم الكشف العلمي عن طريقة حياة وثقافة وعقل الشعوب العربية.

بالتالي والحال في اللغة هكذا ، فإن المنهج المناسب لدراسة الظواهر اللغوية ليس هو (المنهج الاستقرائي) التجريبي إلا على نطاق ضيق جداً وليس تطبيقاً على اللغة نفسها وإنما على توابعها ونتائجها. وكذلك لا يعمل (المنهج الاسترداديي) التاريخي عملاً فاعلاً في تفسير الظاهرة اللغوية إلا من باب التقصي والإحصاء للمراحل التاريخية لتطور اللغة. أما (المنهج الوصفي) فلا يقوم في هذا الصدد إلا بوصف حالة ما هو قائم بالفعل من أمر الظاهرة اللغوية ولكنه لا يقدم تفسيراً عليها ولا حيزاً كافياً من الأفكار والنقد. ولكن جميع هذه المناهج تفيد كأدوات في جمع المعلومات وتصنيفها من أجل فائدة (المنهج التحليلي) بكونه الفاعل الأساسي في تفسير الظاهرة اللغوية والحكم عليها واستخدامها في الوصول إلى الحكم العلمي على حالة شعب أو مجتمع بأكمله من جهة مكوناته العقلية والانفعالية والتواصلية بل ولتطوير الدراسات اللغوية نفسها. من هنا قامت – مثالاً لذلك – الدراسات النقدية على الشعر تأكيداً على هذا الباب من أبواب البحث العلمي ، والاستشهاد في هذا يمكن بقول الأديب والناقد اللبناني (مارون عبود) "كان الشعر لسان حال الشعوب ، وأصدق دليل على مقدار رقيهم "([1]) .

وربما كان خير وصف على ضرورة الشعر ما قاله أستاذ الأدب لتلاميذه في مقطع من الفيلم الأمريكي الاجتماعي (The dead poet society) : (مهما كان ما يخبرك به أي شخص ..

([1]) عبود، مارون – الرؤوس – بيروت ، دار الثقافة العربية ، ١٩٧٣، ص ٢٣.

فالكلمات والأفكار تستطيع تغيير العالم .. لا نقرأ ولا نكتب الشعر لأنه لطيف .. نكتب ونقرأ الشعر لأننا أعضاء في الجنس البشري ، والجنس البشري مليء بالعواطف .. الطب والقانون والأعمال والهندسة هذه ممارسات نبيلة وضرورية للمحافظة على الحياة .. لكن الشعر ، الجمال ، الرومانسية ، هذه ما تجعلنا نعايش الحياة .. بما أنكم هنا وبما أن الحياة والهوية موجودان يستمر العزف الرائع للحياة وبما أن العزف الرائع للحياة مستمر .. ربما تنظمون الشعر).

ب/ التأسيس الفلسفي للمنهج التحليلي التفاعلي في البحث اللغوي.

ذكر الفيلسوف الإنجليزي النمساوي الأصل (لدفيش فيتجنشتاين) L. Wittgenstein في آخر فقرة من كتابه (رسالة منطقية ـ فلسفية) "إن ما لا يستطيع الانسان أن يتحدث عنه ، ينبغي عليه أن يصمت حياله "(١). انطلقت هذه المقولة من افتراض مؤداه أن حدود الخبرة البشرية مقصورة – أو لابد أن تكون مقصورة – على المفردات الواقعية التي تقابل معانيها أشياء معينة في العالم الخارجي ، فتكون النتيجة المنطقية إذن تعليق الحكم بصدد ما لا يمكن التعبير عنه بالإشارة إليه أو وصفه في الواقع فيعود ويؤكد ذلك بقوله "إن مل يمكن قوله على الاطلاق يمكن قوله بوضوح "(٢)، ومقياس الوضوح هنا مطابقة الكلمة للشيء. فهذا القول إنما يستهدف إقامة حد للتفكير أو على الأصح إقامة حد للتعبير عن الأفكار. من هذا نشأ ما يعرف بالشكلية اللغوية linguistic formalism التي ضيقت الباب الواسع أمام الكثير من أوجه التفاعل اللغوي التداولي المسهم في تطوير اللغة نفسها من حيث المرونة والثراء لموافقة التطورات الحضرية العامة للإنسان. وقد عبر الدكتور (خالد الغامدي) عن هذا المعنى في حديثه حول فكرة (اللحن) ضمن مقتضيات العرف اللغوي في اللغة العربية من كونها حالة ضرورية وقفت في مواجهتها الشكلية اللغوية، فيقول "إن هذا اللحن في مفهوم (اللحن) أحدث خللاً في جدلية الشكل والمضمون في اللغة العربية ، فأصبح الذوق العام يقاد بالعسف إلى الخضوع لرؤية شكلية في اللغة ، فأهم شيء في هذه اللغة والتعامل بها ومعها هو ملاحظة قواعد الاعراب وعلاماته بأن يصيب المتكلم والكاتب والقارئ في الرفع والنصب والجر إصابة على وفق ما يراه النحوي أو المؤدب وليس وفق ما يراه المتكلم الذي قد يكون له قدم صدق في العربية وآدابها والذي ينحو به طبعه في تصرفه واتساعه

(١) Wittgenstein ، Ludwig – Tractatus Logico Philosophicus – London, Routledge & Kegan Paul, 1960, s.7,00.

(٢)Wittgenstein, Tractatus

واضطراره وجهاً من الوجوه ... فهو عسف مزدوج لأنه يحمل المتكلمين على مراعاة جانب شكلي واحد من اللغة ومن وجهة نظر واحدة تتسم بالطابع النظري الخالص "([١])

ولقد كان من نتائج سيادة الاتجاه الشكلي في دراسات العربية من حيث التركيز على الفصل بين الصواب واللحن في الاعراب هو "(العزلة اللغوية والثقافية) التي انقادت إليها العربية الفصحى وثقافتها، حتى أصبح في اللغة والثقافة ضرب من الازدواجية اضطر معها مثقفون وأدباء كبار إلى التسليم بهذه الحياة اللغوية المنشطرة بين الأنموذج والواقع "([٢]) . إذاً ، فقد كان هنالك أولاً اتجاه التحليلية الشكلية في دراسات اللغة ، وما قد سرى على العربية فإنه سرى على غيرها من اللغات. وهذا الاتجاه كانت تمثله مدرسة (الوضعية المنطقي) logical positivism بكونها مدرسة فلسفية في البحث العلمي ، ثم جاء في مقابلها اتجاه ظهر متأخراً يمكن الاصطلاح عليه بالاتجاه (التحليلي التفاعلي) في دراسة وتفسير اللغة وتمثله فلسفة التحليل اللغوي للغة العادية عند (لدفيش فيتجنشتاين) وفلاسفة مدرسة (اكسفورد) التحليلية.

ويمكن التأسيس النظري للاتجاه التفاعلي بعرض تداول الإشكالية المعرفية للغة بين الاتجاهين الشكلي والتفاعلي ، على نحو ما يلي:

فيما سلف تبين أن الاتجاه الشكلي يهدف إلى وضع حد للتعبير عن الأفكار ومن ثم حد للأفكار نفسها على هيئة أطراف يخرج منها كل ما لا يمكن وصفه بكائن واقعي منفصل عن إدراكنا له ، "ذلك لأننا لكي نقيم حداً للتفكير يلزم أن نجد طرفي ذلك الحد مما يجوز التفكير فيه، وطالما أننا نستطيع التفكير فيما لا يكون ممكناً تحققه لذلك فإن الحد يمكن أن يوضع فقط بالنسبة للغة ، أما ما يقع فيما وراء هذا الحد فيعد ببساطة شيئاً لا معنى له "([٣]) .

وفي الوقت الذي تضع فيه الشكلية الحدود الحاسمة لمعنى (المعنى) نجد اتساعاً كبيراً فيه لدى التحليلية التفاعلية حيث يتم النظر إلى اللغة باعتبارها تعبيراً عن طريقة في الحياة وبكونها فاعلية مرتبطة بكل ضروب وأنماط التفكير ، فأصبح التحليل قائم على فض مغاليق وأستار الشخصية الوجودية لأي مجتمع من المجتمعات بحسب ثقافته ، أي معرفة (العقول الأخرى) other minds. ولعل من المصادر الأساسية في انتاج هذا الموقف هو ما جاء حول فهم السياق لدى الفيلسوف والمنطقي الألماني (جوتلوب فريجه) G. Frege إذ يقول "ينبغي أن لا نقع في خطأ السؤال عن معنى كلمة ما بمعزل عن غيرها من الكلمات ، إذ أن الكلمة لا يكون لها معنى إلا

([١]) الغامدي ، خالد – نظرية العرف اللغوي ، نحو منهج في علم اللغة الثقافي – مؤسسة الانتشار العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ٢٠١٥م ، ص ٢٥.

([٢]) الغامدي، خالد ، نظرية العرف اللغوي ، ص ٢٦٨.

([٣]) Wittgenstein, Tractatus

وهي في سياق ، فإذا تسألنا عن معنى كلمة منعزلة عن غيرها اتجه ميلنا إلى أن تجيء الإجابة وصفاً للصور الذهنية التي يستدعيها سماع هذه الكلمة. وقد تستحضر نفس الكلمة صوراً متباينة في عقول أناس مختلفين ، وعلى أية حال فهذه الصور الذهنية المجردة لا تحدد المعنى المقصود للكلمة في السياق الواردة فيه "([1]).

يكون تحديد معنى الكلمة مستمد من كيفية استخدامها في السياق اللغوي "([2]) . والأمر هنا على مثال (اللعبة)، فإذا كان من غير المجدي التساؤل عن الموضوعية المطلقة في تصميم أي حركة من حركات لعبة ما ، فإنه يكون من غير المجدي أيضاً التساؤل عن موضوعية مطلقة لما تمثله أو تصوره كلمة ما من كلمات اللغة، فالأمر في هذا يتم على نحو ؤ conventional سواء كان تلقائياً أو قصدياً بحسب كل طريقة في الحياة. ومن ثم فإن ما نراه من تباينات معرفية ليس بالضرورة أن هناك تناقض بينها وإنما هي أنماط نموذجية يكمل بعضها بعضاً ، والقاعدة المحققة لهذا التكامل هي تعدد زوايا الرؤيا لدى الأشخاص باعتبار (أن كل وعي هو بالضرورة وعي بشيء ما) وأن الوعي يقصد إلى موضوعه بنحو مباشر وفق ما قرر (ادموند هوسرل E. Huserll في الفلسفة الظاهراتية (الفينومينولوجيا) ، وفي ذلك عدم انفصال كلي بين ما يعرف بقالب الشعور وما يعرف بمضمون الشعور ، وبالتالي عدم الانفصال بين التصور والاستجابة السلوكية كيفما كانت على هذا التصور[٣]. وعلى هذا الأساس يكون السبيل الوحيد لمواجهة المشكلات المعرفية المتعلقة باللغة هو بفحصها على نحو ما هي مستخدمة بالفعل ، أي بالنظر إلى الطريقة العملية التي يتم بها استخدام اللغة في صميم حياتنا الاعتيادية. وتعبيراً عن هذا فقد صرح الأديب والناقد اللبناني (مارون عبود) رداً على سؤال حول ازدواجية اللغة العربية بين الفصحى والعامية "إن حدة الازدواجية تتلاشى أمام عراكنا مع اللغة واستخدامنا لألفاظها الحية. والازدواجية هذه كائنة في أكثر اللغات الحية. وقد تغلبوا عليها إلى حد ما .. فهذا (فريدريك ميسترال) شاعر الريف الفرنسي لا يفهم أدبه إن لم يترجم إلى اللغة الفرنسية المألوفة. والذي ليس معقولاً أن تصبح اللغة كلها فصحى ، فإن العامية سوف تبقى ، ولكنها ضعيفة .. إنما ذلك يحتاج إلى خلق ، وإلى مبدعين ، أمثال (الجاحظ) و(أحمد فارس الشدياق) . لقد خرج كلاهما عن

([1])Gotlob Frege – Foundation of Arithmetic – Basil Blackwell, London, 1960, p. 1.
([2]) Wittgenstein، Ludwig – Philosophical Investigations – translated into English by: G, E. M. Anscombe, Basil Blackwell, 1958, p. x.
([٣]) حنفي ، حسن – علم الاستغراب – لبنان ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م، ص ٣٤٩-٣٦٢.

المألوف... لقد وجدت نتيجة لأبحاثي الخاصة أن خمسماية عبارة مما نتداوله في كلامنا العامي واردة في القرآن الكريم"([1]) .

وعلى مستوى آخر ، فإن المنهج التحليلي التفاعلي يقوم على مبدأ الفصل بين (المعنى) و(الدلالة) ، حيث الفرق بين العبارة التي هي متوالية مؤلفة من الفاظ منطوقة أو إشارات مكتوبة وبين المعنى الذي يرتبط بالعبارة والذي قد يختلف تماماً عن الشيء المشار إليه تحتها أو الدلالة التي يشير إليها المعنى[٢]. فإذا كان المنهج التحليلي الشكلي يقوم على التوحيد بين المعنى والدلالة في وصف وتقرير العلامة اللغوية على وقائع عينية وبهذا يقصر فعاليات اللغة على التصريح والسؤال والأمر وأن اللغة هي فقط حصيلة من الأسماء البسيطة المباشرة لأشياء وهي غير (الصفة)، فإن المنهج التفاعلي في المقابل يقرر ما قد لا يحصى من أغراض الاستخدام للرموز والكلمات والجمل والتي تمثل ألعاباً لغوية language – games متجددة إذ ليس هناك ارتباط جوهري أو ضروري بين الاسم وماهية المسمى إلا فقط تحقيق الارتباط بالاتفاق الاصطلاحي. وهذا يقودنا نحو النظر إلى المسألة اللغوية التفاعلية من الناحية المنطقية حيث نشأ الخلاف الفلسفي حول ماهية اللغة إما بكونها حصيلة من الأسماء اللا-وصفية مستمدة من الوقائع العينية فحسب وإما بكونها متوافقات اصطلاحية بحسب اختلاف الاستخدام التداولي للغة الواحدة. فكان من أبرز نتائج هذا الخلاف هو التمييز في نسبة الحد الكلي universals إلى ما هو جزئي ، حيث اتجه أصحاب المذهب الواقعي إلى القول بأن للكليات نوع من الوجود الحقيقي خارج العقل يتم التعبير عنها بأسماء كلية على نحو ما قرر بصدد (المثل الكلية العقلية) في فلسفته ، حيث أن "الاسم بالرغم من أنه يظهر مرتبطاً بكثرة من الأشياء ، إلا إنه يكون في الواقع مرتبط بشيء واحد فقط كلي "([3]) .

أما الاسميون ، فالكليات لديهم ليست شيئاً سوى أسماء وليس لديها وجود واقعي أو حقيقي لا في العقل ولا في خارجه ، إذ أنها أسماء لعلاقات قائمة بين أفراد بعضهم مع بعض ، ولهذا فإن التجريد أو التعميم لا يقوم في التخلص التام من الفردية والعينية بل يقوم بجعل صورة عينية جزئية تقوم مقام صنف كامل من الموضوعات على نحو ما ذهب كل من (جورج بيركلي) .G

([1]) مارون عبود بأقلام عارفيه – لبنان ، إعداد وتقديم: نظير عبود ، دار مارون عبود ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٣م ، ص ١٧٣.

([2]) خليل، ياسين – نظرية جوتلوب فريجة المنطقية – العراق ، مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٦٧م ، ص ٣٢٩ ، ٣٣٠.

([3]) Ross, William L. – Dictionary of Philosophy and Religion – New Jersey Press, Sussex Harvester Press, `980, p. 597.

Berekly و(وليم أوكام) W. Occam (١) . ثم جاء التصوريين كطرف على نقيض الواقعيين لقولهم أن الكليات هي كيانات مجردة في العقل وليس لديها وجود خارجي ، وهذا ما أدى إلى أن الاسم لديهم لا يرتبط بشكل مباشر بالأشياء وإنما فقط عن طريق تصور ذهني ، ونجد مثال ذلك عند (أبيلارد) Abelard الذي قال بأن الكليات توجد في العقل وأيضاً توجد في الأشياء ولكن ليس على نحو مدرك[2]. أما المنهج التحليلي التفاعلي وفق نموذج فلسفة (فيتجنشتاين) المتأخرة فلم يعد الاعتبار المهم لديه في النظرة العملية لتداول اللغة فيما يتعلق بمصطلح (الكليات) كمصطلح قائم بشكل ملزم ويحتاج إلى تفسير ، وإنما الاعتبار المهم هو في استبدال هذا المصطلح – تكاملاً مع مقولة الألعاب اللغوية – بمقولة (المشابهات العائلية) family resemblances حيث أن الأمر لا يخرج عن كونه تداولاً لغوياً ، وأن اللغة ما هي إلا حصيلة ألعاب ترتبط فيما بينها بمشابهات وفق الاستخدام ولا يكون من المجدي في ذلك أن نبحث عن معان مشتركة أو حدود كلية عامة إلا على سبيل المجاز لا الحقيقة ، فكل حالة استخدام لغوي لمفردة أو علامة لغوية إنما ترتبط بعلاقة تشابه بينها وبين كلمات أو علامات في اطار ثقافة واحدة على ذات النحو الذي يتشابه به افراد العائلة الواحدة في الملامح والصفات مع احتفاظ كل فرد منهم بخصوصيته الوجودية وشخصيته المستقلة(٣). ولعل الفائدة من افتراض مقولة (المشابهات العائلية) أنها تحدد السقف الدلالي المرن في استخدام كل علامة لغوية أياً كانت الثقافة المتداولة في اطارها تلك العلامة ، وهذا بدوره مما يسمح بإيجاد قاعدة للتواصل بين جميع الأمم والشعوب والثقافات وتلاقي التعبيرات المختلفة عن الذات والسماح بالترجمة الابداعية وفق تلك الثقافات مع بعضها البعض. فحتى المفردات اللغوية ذات الطابع العقلي أو النفساني – وفق مبدأ المشابهات العائلية – لا تشير – بعكس ما قد يبدو لنا – إلى حالات باطنية أو معطيات نفسانية عميقة مجهولة وإنما هي مجرد وسائط تكنيكية نصطنعها للتغبير عن سلوكنا وسلوك الآخرين(٤). بل إن هذه المفردات تقوم مقام السلوك نفسه المعبر عن هذه الأحوال النفسانية في حالة لم يقدم صاحبها على إجراء سلوك عملي أو مظاهر حركية تفيد بحالته أو ما بما يعاني من الألم أو الفرح أو الحزن أو الفهم وما إلى ذلك. فالكلمات في هذه الحالة ليست سوى موجهات وظيفية تجعلنا ندرك بشكل صحيح قصد مستخدمها ليست بالقياس إلى حالات دفينة أو خبرة خاصة لديه بل بالرجوع إلى طريقة

(١) بدوي ، عبد الرحمن – موسوعة الفلسفة – بيروت ، دار التنوير للطباعة والنشر ، ١٩٨٢ ، الجزء الأول ، ص ٢٨٩.

2 (Pears – Universals, Logic and Language – edited by, A. G. N. Flew, Basil Blackwell, Oxford, 1973, second series,p. 55.

(3) Hilary – Universals – The Macmillan Press, 1978, p.54.   Staniland,

(٤) إبراهيم ، زكريا – دراسات في الفلسفة المعاصرة – القاهرة ، مكتبة مصر ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٨م ، ص ٢٧٤.

تطبيقه السلوكي بناء عليها في المواقف التي يستخدم في سياقها تكنيك ذلك اللفظ ، الأمر الذي يجعلنا على ثقة من أن التفكير ليس هو عملية ذاتية باطنية تميز القول المعقول عن الهذيان أو القول غير المعقول ، وإنما التفكير هو عملية اجتماعية تخضع للسُقُف الدلالية المرنة التي تفرضها المشابهات العائلية للأقوال والأفعال. وطالما أن التفكير هو عملية اجتماعية فكذلك التعبير عن التفكير سلوكياً أو لفظياً بالضرورة هو عملية اجتماعية.

ومن جهة أخرى ، وعلى مستوى النحو اللغوي ، فإن علم القواعد اللغوية (النحو) في وجهة نظر التحليلية التفاعلية "لا يخبرنا عن الكيفية التي لابد أن تبنى اللغة وفقاً لها ولكي يكون لها تأثير بنحو أو بآخر على الإنسان. إن علم القواعد اللغوية يصف فقط ولا يفسر استخدامات العلامات اللغوية "(١) . بهذا يمثل النحو الغطاء الصوري في تداول اللغة يرتبط بشكل مباشر بإشكالية المعنى. وبالتالي فإن تعلم القواعد اللغوية أو النحو إنما يتم عن طريق استخدام الكلمات وليس العكس ، وهذا مما يدرك في سلوك الطفل الذي لا يبدأ بأي حال في تعلمه الأولي للغة بالقواعد اللغوية النحوية وإنما بطريقة استخدام الكلمات على نحو تلقائي أولاً وضمن الإطار الاصطلاحي أو الاتفاقي للجماعة اللغوية المعينة التي ينتمي إليها هذا الطفل. وهذا ما يجعل فيما بعد ومع تعقد التعلم للغة في المراحل المتأخرة أن "تطبيق القاعدة ، والعملية المعرفية في الفهم حين تطبيق القاعدة ، يكونان شيئاً واحداً "(٢). وهنا قد ينشأ سؤال : هل علم القواعد اللغوية أو النحو هو قوانين أم قواعد ؟ يمكن القول أن هنالك فارق منهجي بين مفهوم (القانون) law ومفهوم (القاعدة) rule، فالقاعدة هي شيء عرفي قائم أكثر الشيء على متواضعات تلقائية أو غير تلقائية للناس فهي إذن شيء يمكن خرقه أو تعديله أو نسخه بغيره ويسمح بالاستثناءات عليه. أما القانون فهو ما يفترض فيه الثبات والضرورة والشمولية على غرار القوانين الطبيعية والرياضية. عليه ، يمكن استنباط أن المبدأ الضابط للاستخدام اللغوي المعين في وجهة نظر المنهج التحليلي التفاعلي هو مبدأ (القاعدة) وهو الذي وجد ملائماً لفكرة (الألعاب اللغوية) لأن الحكم فيها لابد أن يأتي متسقاً مع نمط أو طريقة الحياة التي فيها يتم استخدام النسق اللغوي وكيفيات توظيف القواعد النحوية للغات العادية ordinary language وليس بالتطابق العام مع شكل منطقي صوري لهذه القواعد النحوية على نحو قطعي ملزم. فإذا كان الغرض النهائي للغة هو الإفهام والتوصيل فيلزم أن يتم تفسير اللغة وفق المقتضيات المناسبة لهذا الغرض "حيث أنه من الطبيعي أن ما يقال إما أن يتم فهمه مباشرة أو على الأقل بشيء من التوضيح ، وحينما يتم فهم الكلام فإن ذلك يعني أن

---

(١) Wittgenstein – Philosophical Investigations – p. 96

(٢) Hardwick – Language Learning in Witttgenstein's Later Philosophy – Paris, Mauton , The Hague, 1971, p. 99.

القضية المعبر عنها قد تمت صياغتها بأفضل ما يمكن ، أي أن الألفاظ التي تم استخدامها تقوم بوظيفتها "([1]). ولأجل ذلك يتم في القياس للاستخدام اللغوي معيار الاتساق coherence بالأحرى دون التطابق correspondence الصوري العام.

خ/ الدلالة العامة لفائدة المنهج التحليلي التفاعلي في العربية.

ونحن نسعى إلى صيد اللغة وجمعها من أطرافها ووضعها ضمن غرفة محكمة النوافذ والأبواب ، فهل النحو اللغوي في ذلك أسبق على تداولية الكلام Pragmatics أم أن العكس هو الصحيح؟ قال (ابن خلدون) في (المقدمة) " فاستنبطوا من مجاري كلامهم قوانين لتلك الملكة مطردة شبه الكليات والقواعد يقيسون عليها سائر أنواع الكلام ويلحقون الأشباه بالأشباه ، مثل أن الفاعل مرفوع والمفعول منصوب والمبتدأ مرفوع. ثم رأوا تغير الدلالة بتغير حركات هذه الكلمات فاصطلحوا على تسميته إعراباً وتسمية الموجب لذلك التغير عاملاً ، وصارت كلها اصطلاحات خاصة بهم "([2]) .

انطلاقاً بنحو ما من مضمون كلام (ابن خلدون) فإن الانسان ظل يحاول دائماً أن يضع لنفسه أنظمة للضبط المنطقي حتى يثق في تلقيه ونقله لأي معرفة قد تحصلها من قراءة الكون وبما يمكنها أن تثمر هذه المعرفة من عمل نافع تتقدم به الحياة. وفي سبيل ذلك كان ينزع بشكل أقرب إلى الحتمي نحو فعل التجريد الرمزي أو الصوري formalism لما يفكر فيه ، وذلك من أجل أن يصب معارفه في هيئة قوانين وأحكام. وبدأ الامر في صورته الأولية بإجراءات صياغة قوانين التفكير الاساسية وتأسيس بناء عليها جملة من مبادئ القياس syllogism وعلم المنطق Logic فظل بهذه القوانين يلاحق تفاعلات الأفكار في الذهن البشري سواء في أحواله العادية أو العلمية ، حتى إذا ما ظن أنه قادر على الحكم المطلق والحاسم بالصدق والكذب على أي فكرة أو مقولة وبنى على ذلك نسقاً منطقياً محكماً أسماه (القيم-الثنائية) two-valued logic ، فإذا بميدان معارفه بالكون يتسع وتشب نظريات العلم في رأسه عن ضيق طوق منطق القيم الثنائية في تفسير مجريات الوجود والمعرفة والحياة ، فيضطر إلى استبدال النسق القديم هذا بنسق جديد اصطلح عليه بمنطق (القيم-المتعددة) many-valued logic والذي يوسع نسبة مناطق الغموض والمجهول في ذهن الانسان بحكم ما فرضته نتائج نظريتي فيزياء النسبية وميكانيكا الكم بما يتجاوز حد الحكم الكلي أو المطلق بالصدق أو بالكذب فيسمح بدخول قيم متوسطة احتمالية

([1]) فيتجنشتاين ، لدفيش – رسالة منطقية فلسفية – ترجمة وشروح / عزمي إسلام مراجعة وتقديم / زكي نجيب محمود ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٦٨م ، ص ٢٠٣ ، ٢٠٤.

([2]) ابن خلدون ، عبد الرحمن محمد – المقدمة – بيروت ، دار صادر ، ٢٠٠٩م ، ص ٤٤٢.

نهائية ولانهائية بين هذين الطرفين (صادق ـ كاذب)، ويظل البحث مستمراً. من هنا جاءت قضية (النحو اللغوي) بأنه مطلوب لدى الإنسان وضع كلامه في حيز ضابط يعلو عليه وإن تصورنا أنه مبطن فيه ويخرج من داخله – أي خروج النحو من باطن الكلام – وهذا لأجل أن يبقى الكلام مفهوماً لدى المتداولين له ويظل ذا بيان واتصال فجرد فلاسفة اللغة والنحاة المنطقيون في ذلك تمييزاً بين مستويين يعلو الواحد منهما على الآخر ويحكم عليه وهما (اللغة القائمة بالفعل Object-language ثم (اللغة الفوقية الشارحة)Meta-language باعتبار أن اللغة الشارحة هي أنساق من العلامات الرمزية والعلاقات تعلو على أي لغة متداولة قائمة بالفعل وتضبط قيادها وتنظم إيقاعها. إذن فاللغة الشارحة هي في مقام التجريد الذهني الاصطلاحي الذي يتم اصطناعه قصداً بواسطتنا ولا يتم توليده تلقاءً كما اللغات القائمة بالفعل. هكذا تحاول القواعد والقوانين النحوية أن تطارد إبداعات الاستخدامات اللغوية المحكية بالتنظيم والتقييد والضبط ، ثم تحاول أن تسبقها لتقف من بعدها كحائط صد ترتطم به التداولية اللغوية في منتهى جريانها ، ولكن الشاهد الاستقرائي يظهر كيف تخترق التداولية دوماً حائط القواعد النحوية وتتخطاه لتصبح القواعد باستمرار تبعاً لها وليس علواً فوقها أو تقدماً عليها ، فالتداولية اللغوية تظل تخلق اشكالاً جديدة من اللغات وتجعل اللغة الواحدة تمر بأطوار متجددة دوماً حتى تبعد الشقة كثيراً بين ما بدأت به وما انتهت عليه عبر مر العصور ، وما ذاك إلا لأن اللغة ترتبط بالفاعلية الإنسانية الصرف في تداولها والتكلم بها وأنها توليد مباشر لطريقة الناس في الحياة وأن طرق الحياة هذه لا حصر حاسم لها فهي تختلف وتتعدد بتعدد وتنوع الشعوب والقبائل .

ولذلك ، وفيما يتعلق بالتداولية اللغوية للغات العادية ، اقترب المفكرون من اليأس أن يجعلوا النحو المطلق إطار فوقي حاكم وضابط للاستعمالات اللغوية فجنحوا نحو فك (المعنى) meaning عن (الدلالة) reference من أجل أن يكون الفهم والتأثير اللغوي هو الشاهد الفعلي على المعاني والمقاصد اللغوية كما هي متداولة في الواقع وليس كما يمكن رسمها بصورة مثالية افلاطونية مفارقة ، أي التأثير التفاعلي الاتصالي للكلمات حتى ولو لم تكن منضبطة بنحو.

ولكن اللغة العربية تحديداً لها وضع آخر متميز ، ليس بكونها لا تتبع للعقل البشري ومتغيرات طرق الحياة للمتداولين بها كما اللغات الأخرى ، ولكن لأن هناك مصدراً فيها يكون خارجاً عن تفاعلات العقل البشري ومتغيرات أنماط حياة الناس فيجعلها في مستوى مثالي قاطع الثبوت لمفارقته للذهن الإنساني وفي ذات الوقت تكون مفهومة لديه. إن (القرآن الكريم) هو نسق اللغة العربية العلوي الضابط لها meta-language والذي لابد أن تتعين بناء عليه القواعد النحوية للغة كحلقة وسطى بين اللغة العلوية الضابطة والشارحة واللغة التداولية العادية بحسب استعمال

الناس ، تماماً كما تمثل حالة (اللا-تعيين) حداً متوسطاً احتمالياً بين حدي الحكم بالصدق والكذب في أنساق منطق القيم-المتعددة.

وإلا ، فإننا نرى إلى أي مدى تغيرت الأنماط والأشكال التداولية للغة العربية المحكية في وسط الشعوب الناطقة بها ، وكيف أن هذه التداولية دوماً كانت محكومة باختلاف طرق حياة الناس وتعددها شرقاً وغرباً مما كان من شأنه أن يحول اللغة العربية إلى شكل مغاير كثيراً لما هي عليه في مصادرها الأولية الفصيحة بنحو ما حدث للغة اللاتينية وتحولها إلى اللغات الفرنسية والإيطالية والاسبانية والبرتغالية ، الأمر الذي لم تعد معه اللغة اللاتينية في راهننا المعاصر لغة مفهومة من تلقاء تداول الناس باللغات المتحولة عنها إلا أن يتم دراستها دراسة تعليمية منتظمة . إذن ، فالضامن لقوة النحو العربي في - مقام الحد الأول - هو ذاك المصدر الفوقي التداولي الشارح والضابط للعربية بمفارقته عن التوليد والتحولات الذهنية البشرية ، وبذلك تصبح قواعد النحو اللغوي – في مقام الحد الوسط – هي بذاتها تحت ذاك المصدر بمثابة اللغة القائمة بالفعل object-language فنحكم بها ما تداولنا به نحن – في مقام الحد الأخير – من لسان عربي في حياتنا اليومية ، وهذا ما لم يتم اتاحته لأي شكل من أشكال النحو اللغوي للغات بخلاف اللغة العربية. إذاً ، وبحسب فلسفة المنهج التحليلي التفاعلي فإن الكيفية المعينة لدى شعب ما في استخدام اللغة بحسب طريقته الخاصة في الحياة والتي تتمثل في العاب – اللغة لديه هي مكون أساسي وأصيل من مكونات هذه الطريقة في الحياة ، وبالتالي فهي مفتاح عقل هذا الشعب لمن أراد فهمه ، وأيضاً هي الحامل التعبيري الناقل لكل خبراته وانفعالاته وأفكاره ، وهي الوسيط الاتصالي التداولي الحتمي بين أفراد هذا الشعب.

والفرضية هنا ، أننا إذا تتبعنا تطور لغة شعب ما ، ليس من حيث نشأتها كلغة طبيعية عامة أو كلغة عادية مشتركة بين عدد من الشعوب وإنما من حيث كونها كيفية معينة في الاستخدام تناسب تحديداً طريقة هذا الشعب الخاصة في الحياة ، فربما وجدنا أن كل مرحلة من مراحل طريقة حياة هذا الشعب وتطور الخبرات والأفكار يصاحبها لزاماً تحول في نمط الألعاب اللغوية لديه وأنماط التواصل التداولي للأفراد بحسب الظرف التاريخي الحضاري لكل مرحلة. وبالتالي ، يمكن قياس الفارق في الأجيال لدى أي شعب بحسب نسبة الاختلاف في كيفية الاستخدام للغة لديهم المتقدمين منهم والمتأخرين. كما يمكن كذلك قياس درجات التأثير التحولي للشعب بفعل شدة أو ضعف التداخل الثقافي بينه وبين شعوب أخرى. وهو ما يمكن أن يكشف عن اختلاط السلالات البشرية في الراهن وتتبعها نزولاً في الماضي وصولاً إلى درجات نقائها الواضح وتمايزها ، وبالتالي

قياس درجة التآلف والتقارب بين شعوب معينة من حيث الشكل الثقافي والهيئة التكوينية العامة والتركيب الاجتماعي.

وأخيراً ، فإن "منطق اللغة غير ذلك المنطق ، والتسمية إحالة لتجربة لا يمكن تصورها بالنظر العقلي للأشياء ، تجربة تخرج الأشياء من الشيئية كي تسبغ عليها وجوداً إنسانياً ، معنى تتعاقب فيه الكلمات وتلتقي فيه الكائنات فيتخذ من لحظة الحدس معتركاً له فلا يصبح للشيء وجوداً في ذاته وإنما هو الوجود الذي يقوم في وعي الإنسان به ، وجوداً سابقاً على الماهية وجود لا وجود للشيء قبله ، وجود تتنزل معه تلك القدرة على التسمية التي منحها الله للإنسان بمنزلة إعادة خلق الأشياء في أسمائها أو بأسمائها ، وإلى تلك القدرة تعود اللغة وعليها ينبغي أن تحمل "([1]).

النتائج الأساسية.

١ـ أن المنهج التحليلي التفاعلي – الذي أسس له الفيلسوف والمنطقي (لدفيش فيتجنشتاين) على المستوى الفلسفي ـ هو الأنسب منهجياً في قراءة وفهم (العقول الأخرى) بكونه وسيلة التعرف على الخصائص الذاتية لكل فئة أو مجتمع أو شعب في استخدامهم للغة العادية بما يكشف ويعبر عن هويتهم وطريقة حياتهم.

٢ـ أن المنهج التحليلي التفاعلي في دراسات اللغة هو اللازم لحسم القصور اللغوي التعبيري الناتج عن الاقتصار على الشكل القواعدي والصوري المحض من أجل مواكبة التطور التداولي الدلالي في الاستخدام التواصلي للغة بين عناصر الشعب الواحد وبين الشعوب وبعضها.

٣ـ ارتباط البحث العلمي في ميدان اللغات (لاسيما اللغة العربية) بمجريات البحث العلمي في العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية المعاصرة هو العامل المؤيد لضرورة ترجيح المنهج التحليلي التفاعلي في تفسير ودراسة اللغة دون تجاهل لدور القواعد النحوية ومكانتها في التأسيس اللغوي.

٤ـ أن المنهج الشكلي الصوري يضع الحدود للفكر الانساني برسمه لحدود صارمة للمعاني في التعبير عن هذا الفكر بحيث يحذف كل ما لا يمكن وصفه بدلالة واقعية منفصلة عن إدراكنا لها ، بينما يرفع المنهج التحليلي التفاعلي الحدود الشكلية أو الصورية المحضة عن الأفكار ويحقق اتساعاً كبيراً في (المعنى) لأجل أن يتم النظر إلى اللغة باعتبارها تعبيراً عن طريقة في الحياة وبكونها فاعلية مرتبطة بكل ضروب وأنماط التفكير.

([1]) السريحي ، سعيد – تحرير المجاز – لبنان ، جداول للنشر والترجمة والتوزيع ، الطبعة الأولى ، ٢٠١٩م ، ص ١٢٨.

المراجع.

(١) ثورنتون وايلدر – جسر سان لويس ري – ترجمة/ عبد القادر القط ، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر.

(٢) حسن حنفي – علم الاستغراب – لبنان ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٢م .

(٣) خالد الغامدي – نظرية العرف اللغوي ، نحو منهج في علم اللغة الثقافي – بيروت ، مؤسسة الانتشار العربي ، الطبعة الأولى ، ٢٠١٥م.

(٤) زكريا إبراهيم – دراسات في الفلسفة المعاصرة – القاهرة ، مكتبة مصر ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٨م.

(٥) سعيد السريحي – تحرير المجاز – لبنان ، جداول للنشر والترجمة والتوزيع ، الطبعة الأولى ، ٢٠١٩م.

(٦) عبد الرحمن بدوي – موسوعة الفلسفة – بيروت ، دار التنوير للطباعة والنشر ، ١٩٨٢.

(٧) عبد الرحمن محمد ابن خلدون – المقدمة – بيروت ، دار صادر ، ٢٠٠٩م.

(٨) لدفيش فيتجنشتاين – رسالة منطقية فلسفية – ترجمة وشروح / عزمي إسلام ، مراجعة وتقديم/ زكي نجيب محمود، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٦٨م.

(٩) مارون عبود – الرؤوس – بيروت ، دار الثقافة العربية ، ١٩٧٣م.

(١٠) مارون عبود بأقلام عارفيه – إعداد وتقديم : نظير عبود ، بيروت ، دار مارون عبود ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٣م.

(١١) وائل أحمد خليل ـ نقد منطق نظرية الانفجار العظيم كأصل لنشأة الكون استناداً على المرجعية القرآنية – السودان ، مجلة (التأصيل) ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، العدد التاسع ، يونيو ٢٠١١م.

(١٢) ياسين خليل – نظرية جوتلوب فريجة المنطقية – بغداد ، مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٦٧م.

(13) Gotlob Frege – Foundation of Arithmetic – London, Basil Blackwell, 1960.

(14) Hardwick – Language Learning in Witttgenstein's Later Philosophy – Paris, Mauton,The Hague, 1971,

(15) Hilary Staniland – Universals – The Macmillan Press, 1978.

(16) Ludwig Wittgenstein – Philosophical Investigations – translated into English by: G, E. M. Anscombe, Basil Blackwell, 1958.

(17) Ludwig Wittgenstein – Tractatus Logico Philosophicus – London, Routledge & Kegan Paul 1960, p1

(18) Pears – Universals, Logic and Language – edited by, A. G. N. Flew, Basil Blackwell, Oxford, 1973.

(19) Ray Monk – Wittgenstein and the two cultures – Prospect, July 1999.

(20) William L. Rosse – Dictionary of Philosophy and Religion – New Jersey Press, Sussex Harvester Press, 1980.